أدوار المعلم قديماً وحديثاً

حياة جمهور

منذ القدم والنظرة للمعلم نظرة تقدير وتبجيل باعتباره صاحب رسالة لها صلة بتكوين البشر وتثقيفهم، ولذلك فقد أضفي عليها بعد القداسة. وعلى مر العصور، فهو معلم الأجيال ومربيها، وإذا أمعنا النظر في معاني هذه الرسالة المقدسة والمهنة الشريفة، خلصنا إلى أن مهنة التعليم الذي اختارها المعلم وانتمى إليها، إنما هي مهنة أساسية وركيزة مهمة في تقدم الأمم وسيادتها، فالأمم تربط فشلها أو نجاحها في الحروب إلى وضعية المعلم، وسياسة التعليم، كما أنها تعزي تقدمها في مجالات الحضارة والرقيّ إلى سياسة التعليم أيضاً.

اختلفت النظرة عبر العصور من حيث الأدوار التي يؤديها المعلم، فقديماً كان ينظر له على أنه المصدر الأول للمعرفة، وما على الطلاب الذين يعلمهم إلا حفظ المعارف والمعلومات التي يوصلها إليهم. وكان يعتبر المسؤول الوحيد عن تأديب الأولاد وتربيتهم؛ بسبب قلة المؤسسات المجتمعية وغياب الوعي التربوي الأسري.

تطور هذا المفهوم في عصر التربية الحديثة، وأصبح ينظر إلى المعلم على أنه معلم ومربٍ في آن واحد، فعلى عاتقه تقع مسؤولية الطلاب في التعلّم والتعليم، والمساهمة الموجهة والفاعلية في تنشئتهم التنشئة السليمة من خلال الرعاية الواعية والشاملة للنمو المتكامل للفرد المتعلم "روحياً وعقلياً وجسمياً ومهارياً ووجدانياً"، هذا إضافة إلى دور المعلم في مجال التفاعل مع البيئة، وخدمة المجتمع، والمساهمة في تقدمه ورقيّه.

ويطلب من المعلم، اتجاه هذه الأدوار والمهام التي يؤديها ويمثلها، أن يكون بمثابة محور العمل المدرسي وعموده الفقري، وترتكز قيمته على وعيه وإلمامه بمسؤولياته الجسام والجديدة والمتطورة والشاملة والمتناسبة مع روح العصر في تحقيق الأهداف التربوية بجوانبها المختلفة، والمشاركة الفعّالة والإيجابية من خلال عمله كعضو في المؤسسة التعليمية في تهيئة الجو المدرسي الذي يجعل الطلاب يرون تعلمهم جزءاً من مشروع مجتمعي تنويري.

وبشكل عام، فإن النظرة الحديثة للمعلم تتمثل باعتباره محركاً ثقافياً يمثل دعامة أساسية من دعامات الحضارة؛ فهو صانع أجيال، وناشر علم، ورائد فكر، ومؤسس نهضة، وإذا كانت الأمم تقاس برجالها فالمعلم هو باني الرجال وصانع المستقبل.

يؤدي المعلم في العصر التربوي الحديث أدواراً تربوية اجتماعية عدة، تساير روح العصر والتطور، منها:

1. موجه "يساعد الطلاب ويوفر لهم إرادة بناء المعرفة"

في هذا الدور لم يعد المعلم موصلاً للمعلومات والمعارف للطلاب ولا ملقناً لهم، لقد أصبح دور المعلم في هذا المجال مساعداً للطلاب في عملية التعلم والتعليم، حيث يساهم الطلاب في الاستعداد للدروس، والبحث، والدراسة، مستنيرين بإرشادات معلمهم الكفء وتوجيهه، الذي يعي الأساليب التقنية وتكنولوجيا التعليم، ولديه القدرة والمهارات الهادفة في معاونة الطلاب على توظيف المعرفة في المجالات الحياتية المتنوعة، هذا إضافة إلى قدرته على صياغة الأهداف الدراسية والتربوية، والعمل على تحقيقها من خلال النشاطات الصفية واللاصفية. لذا، فالمعلم في هذا المجال يحتاج إلى التطور والتجدد باستمرار ليحقق الأهداف التعليمية التعلمية.

2. خبير يراكم الخبرة ويطورها

وذلك من خلال الاطلاع على خبرات المهنة الحديثة والمتجددة من جهة، والتأمل في خبراته والتفكير بها وكتابتها ومناقشتها مع زملائه وإعادة فحصها مع طلابه.

3. نموذج وقدوة

فشخص المعلم وما يفعله داخل الصف أو خارجه يشكل نموذجاً للطلاب. ويستخدم المعلمون النمذجة بشكل مقصود، فمثلاً العروض التي يقدمها المعلم في مادة الكيمياء أو الفن تعتبر أمثلة مباشرة للنمذجة. وفي مرات عدة، يكون المعلم غير مدرك لدوره كنموذج سلوكي يحتذى به لدى طلبته، فعندما يدخن المعلم أمام طلبته أو يستخدم ألفاظاً نابية معهم، فإنه لا يدرك تأثير ذلك على سلوك طلبته المستقبلي.

4. عضو في مهنته

لا بد من انتماء المعلم للمهنة التي يعمل بها، ويحافظ على سمعتها، ويسعى على الدوام إلى أن ينمو ويتطور من خلال المنتديات والمؤسسات التربوية؛ لأن هذه المؤسسات تسعى دائماً لتطوير منتسبيها من المعلمين عبر اللقاءات والندوات والنشرات. كما أن المعلم في هذا الدور مطالب بالمساهمة في نشاط هذه المؤسسات، لما لها من مردودات إيجابية في مجال نموه المهني.

5. عضو في المجتمع

يطالب المعلم في هذا الدور أن يكون عضواً فعالاً في المجتمع المحلي، بحيث يتفاعل معه فيأخذ منه ويعطيه، فالمعلم في المفهوم التربوي الحديث منشط لثقافة المجتمع، فكيف يكون ذلك إذا لم يساهم المعلم في خدمة المجتمع في مجالات العمل الثقافي والوطني والقومي، هذا إضافة إلى فعالياته الاجتماعية الأخرى، عن طريق مجالس الآباء والمدرسين، والانضمام إلى المؤسسات المجتمعية الموجهة لخدمة المجتمع، والتعاون مع المنتديات والمؤسسات التربوية وذوي الاختصاص.

والتربية جزء من النظام الاجتماعي تهتم بإعداد الفرد الذي يساهم في بناء مجتمعه بإيجابية، ليتمكن من الحياة بصورة كريمة يقدم فيها لمجتمعه بقدر ما يأخذ؛ وإذا كانت الأمة عبارة عن مجموعات من الأفراد؛ فإنه بحق وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة.

إن إعداد الطالب للعيش في مجتمع سريع التغير، يتطلب من المهتمين بالتربية أن يساعدوه، ليس على التكيف مع هذا المجتمع السريع التغير فحسب، بل والعمل على تكييف المجتمع من خلال إتاحة الفرصة أمامه وتدريبه على حل المشاكل التي تواجهه بنفسه، ويمكن تحقيق ذلك إذا احترمنا طرق تفكيره، وكشفنا عن طاقاته الكامنة؛ من خلال توجيهها إلى الطريق التي تجعل الطالب قادراً على مواجهة المشكلات، وفاعلاً في بيئته التي يعيش فيها.

إن طبيعة هذا العصر بحاجة ماسة إلى مفكرين غير تقليديين، بل مفكرون يتميزون بمهارات عليا تتلاءم وروح هذا العصر الذي يعتبر عصر الإبداع، لذلك ازداد الاهتمام في الآونة الأخيرة بموضوع تطوير مهارات التفكير العليا لدى طلبة المدارس في جميع المراحل، الأمر الذي حثت عليه الأبحاث والدراسات الحديثة، وكان من توصياتها الحاجة الملحة للتطوير.

لماذا ننمي الإبداع؟

- أولاً، لأن تنمية الإبداع تسهم في تحقيق الذات، وتطوير المواهب الفردية، وتحسين النمو الإنساني ونوعية الحياة.
- ثانياً، لأن المبدعين يسهمون في زيادة إنتاجية المجتمع برمته ثقافياً وعلمياً واقتصادياً.
- ثالثاً، تنمية وعي الفرد بإمكانياته الإبداعية يساعد على إدراك القضايا المختلفة بصورة أكثر كفاءة، وممارسة أنشطة متنوعة لرفع كفاءة الأداء.
- رابعاً، إتاحة الفرصة للفرد للتعرض لخبرات متنوعة ومتجددة، والتعرف على مفاهيم جديدة تنعكس على حياته الشخصية وأدائه المهني.

معوقات التفكير الإبداعي

ثمة معوقات لا بد من الحد من تأثيرها، وهي:

- الامتحانات المدرسية التي تقيس التحصيل في نطاق محدود.
- غياب مبدأ المكافأة، ومبدأ الدعم والإسناد.
- التركيز على البحث عن الأخطاء بدلاً من البحث عن الجانب الإبداعي والابتكار في أعمال التلاميذ.

من إضراب المعلمين في مدينة قلقيلية. (عدسة: وكالة "معاً")

- اعتبار الأنشطة الابتكارية مسألة قليلة الاهتمام.
- الالتزام الشديد بالوقت والنظام، وإن كان ذلك على حساب رغبة التلميذ في الاستمرار بالعمل والإبداع فيه.
- نقص الإمكانات المادية، ما قد يحبط الجانب الإبداعي لدى الطالب.

مفهوم التفكير الناقد

للتفكير الناقد تعريفات عدة، منها أنه "تفكير تأملي، ومعقول مركز على اتخاذ القرار بشأن ما تصدقه وتؤمن به، وما يتطلبه ذلك من وضع فرضيات، وأسئلة، وبدائل، وخطط للتجريب". وهناك تعرف آخر يقول إنه "القدرة على اتخاذ القرار الجيد المدروس بتأنٍّ لرفض شيء ما أو قبوله أو تعليق الحكم عليه". وتعريف ثالث يعتبره "عملية تقويمية يتمثل فيها الجانب الحاسم، والختامي، في عملية التفكير، وبذلك فهي خاتمة لعمليات الذاكرة والفهم والاستنتاج"، وتعريف آخر يقول إن التفكير الناقد هو "اختبار فرضيات وقياسها بهدف معرفة مدى تطابقها مع الواقع أو تختلف معه، وذلك بهدف إصدار الأحكام عليها".

أهمية تنمية التفكير الناقد

- إن القدرة على التفكير الناقد تساعد الأفراد على مناقشة المسلمات، والقيم التي تعودوا عليها على أنها أحكام ثابتة ومطلقة.
- إنها مهارة تساعد الأفراد على اتخاذ القرار أمام الخيارات المتعددة التي تواجه الفرد، نتيجة للتغير العلمي والتكنولوجي والاجتماعي المتسارع.
- تجعل من الأفراد مواطنين قادرين على التكييف مع المؤثرات والمشكلات التي يتعرض لها المجتمع من حولهم، وقادرين على إيجاد واقتراح الحلول المناسبة.
- تجعل الأفراد أكثر قدرة على نقد التصرفات والقرارات السياسية، أي يصبح لهم درو فاعل في مجتمعهم.

الدراسات الاجتماعية والتفكير الإبداعي، والتفكير الناقد

تعتبر الدراسات الاجتماعية من أكثر المواد صلة وارتباطاً بواقع المجتمع، ومشكلاته وتحدياته، ويعتبر إعداد المواطن الصالح القادر على المشاركة في بناء مجتمعه من الأهداف التي تسعى إليها مناهج الدراسات الاجتماعية، ولكي يتحقق هذا الهدف، وما نسعى إليه من إعداد متعلم قادر على التعرف على قضايا مجتمعه ومشكلاته وواعٍ بها، وتمكينه من المساهمة في معالجتها وإيجاد البدائل التي تحقق المزيد مِّن التقدم، يصبح لزاماً علينا أن نهتم بتنمية التفكير بكل أنواعه: التأملي، التحليلي، الناقد، الإبداعي. وتنبع أهمية تنمية التفكير، وبخاصة الناقد والإبداعي من كونهما من الأهداف التربوية الأساسية للدراسات الاجتماعية التي من أهم أهدافها تفسير الوقائع، والأهداف، والصراعات، والتعرف على مشكلات المجتمع، وقضاياه، واقتراح الحلول المناسبة لها، وعدم قبول الأمور على علاتها، ومحاولة إيجاد الحلول والمخارج بما يتناسب وقيم المجتمع وثقافته، وهنا يكمن التفكير الناقد والتفكير الإبداعي.

في النهاية لا بد من أن يركز المعلم أثناء عمله على تنمية مواهب طلابه بمختلف مستوياتهم، ويراعي الفروق الفردية لديهم، ويثق دائماً بقدرات طلابه المتفوقين والضعفاء أيضاً، ويثري حصته التعليمية بالعديد من المعارف التي تربطهم بالعالم المحيط بهم، وبعصر العولمة والتكنولوجيا.

إن مهنة المعلم هي مهنة جديرة بالتقدير، فكيف لا يكون ذلك وقد قال رسول الله (ص): "إنما بعثت معلماً"، فالمعلم موجه أجيال ومنشط ثقافة مجتمع.

حياة جمهور
معلمة في بنات عنبتا الأساسية/ طولكرم
عضو منتدى معلمي طولكرم

عائدون من مدرستهم المغلقة بسبب إضراب المعلمين. (عدسة: وكالة "معاً")